

الطرقية في عمالة تطاوين خلال النصف الأول من القرن العشرين

منير بن جامع باحث في التاريخ المعاصر ويدرس حاليا

بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بتوزر

المقدمة :

عرفت منطقة تطاوين كسائر المراقبات المدنية الأخرى بالإيالة التونسية أو بالأحرى كبقية الدوائر العسكرية الأخرى بالجنوب وأقصى الجنوب التونسي خلال النصف الأول من القرن العشرين ظاهرة انتشار العديد من الطرق الصوفية في مختلف ربوع الجهة وذلك في إطار ما يعرف آنذاك بحمى التصوف.

وفي نظرنا تعتبر تطاوين - مجال بحثنا - فضاء خصبا لنشاط العديد من المجموعات الطرقية نظرا لقربها الجغرافي من الزوايا الأم كالتيجانية بتماسين الجزائر والسلامية بزيطن ليبيا، أضف إلى كل ذلك مدى تأثير الجريد كقطب طرقي هام له نفوذ مباشر على بعض الزوايا الفرعية بالجهة التي يعود رموزها من حيث الولاء إلى الشيخ الأكبر للطريقة بتلك المراقبة المدنية (توزر) كالقادرية والعيساوية مثلا.

إذا وفي هذا السياق يأتي هذا المقال كمحاولة لاستجلاء واقع الطرق الصوفية بعمل تطاوين وأهم التحديات المحلية التي حتمت على زعامات الحركة الصوفية بالجهة حسن تمثيل الواقع وضرورة التكيف مع الأوضاع الجديدة. فكيف تفاعلت الطرق الصوفية بمختلف تلويناتها وحيث ما وجدت في عمل تطاوين مع الحدث

الاستعماري؟

I / المشهد الطرقي بعمل تطاوين

من الأهمية بمكان أن نشير ولو بشكل برقي إلى أن المناطق الترابية بالجنوب وأقصى الجنوب التونسي (باستثناء قابس وجربة) ستشهد بعد مرور زهاء ثماني سنوات على حدث الاحتلال الخطوات الأولى لتركيك الإدارة العسكرية والغاية من ذلك هو توطيد السلم الفرنسي باعتبار أن التخوم الجنوبية للإيالة قد تميزت آنذاك باضطراب الوضع الأمني (أعمال نهب وسرقة، حركات تمرد وعصيان...⁽¹⁾)

وبعد سلسلة من التعديلات والتحويلات تم في جانفي 1925 تركيز عمل الودارنة الذي اشتمل على 18 مشيخة وبه مكتب للشؤون الأهلية الذي بعث بدلا عن مركز الاستعلامات وذلك بمقتضى قانون 12 جانفي 1900⁽²⁾.

وتطاولين بمختلف وحداتها البشرية (عرب # بربر، بدورحل # حضر مستقرّون) قد واكبت كغيرها من المناطق الأخرى الحركة الصوفيّة بوصفها إحدى أهمّ الظواهر الحيّة التي ميزت الحياة الدينيّة والاجتماعيّة خلال النصف الأول من القرن العشرين لدورها الريادي في نشر المعرفة الدينيّة (تحفيظ القرآن، تعلّم القراءة والكتابة...) في وقت سادت فيه الأميّة لتشمل معظم فئات المجتمع القبلي، فضلا عن قدرتها في تخفيف وطأة البؤس والمجاعات خاصّة في سنوات الجوائح الطبيعيّة. هذا إلى جانب نجاح سلطتها في حفظ الأمن المحليّ بتهدئة أجواء التوتر بين العروش المتعادية ومن ثمّة تخفيف مستوى العنصريّة القبليّة.

لكنّ هذه الخدمات الطريقيّة لم تكن خاصيّة عامّة ومشاركة بين مختلف الطرق الصوفيّة؛ فالتيجانيّة مثلا اقتصر نشاطها على عقد مجالس الذكر دون سواها من الوظائف الأخرى.

وهكذا إذا وبعد أن ظلّت عواطف الأهالي ومواجههم مشدودة ردحا من الزمن إلى سلطة الولي المقدّسة بصفته الزعيم الروحي للقبيلة إذ ينتسب إليه كلّ عرش (الولي عبد الله بوجليدة مثلا)، أصبح الاعتقاد في مشايخ الطرق الصوفيّة الحدث البارز الذي انجذب إليه كلّ أفراد العرش: المتعلّم والأميّ، الكبير والصّغير، الرجل والمرأة، الموسر والفقر لكن دون التفريط في الأنموذج الأصلي المقدّس الذي يجسّد أولى بواكير التّصوّف بالجهة.

والطرق الصوفيّة بعمل تطاولين في الفترة التي ندرسها عديدة ومتنوعة ومتفاوتة النفوذ المادي والمعنوي؛ وبالتالي ارتأينا تقسيمها إلى صنفين: طرق صلبة ومتنفّذة تحظى بقاعدة شعبية عريضة ولها موارد اقتصادية هامّة وأخرى هامشيّة أتباعها قليلون ومداخلها ضعيفة ومتواضعة.

1- طرق صلبة ومتنفّذة وأخرى على الهامش.

ننطلق مع السّلاميّة لنشير إلى أنّ هذه الطريقة ممثّلة في عمل تطاولين بزاويتين اثنتين: الأولى توجد ببلدة شّني الواقعة على بعد 16 كم غرب تطاولين، وتعود من حيث الولاء إلى الشيخ الأكبر للطريقة بقابس الحاج إبراهيم الفرجاني. وقد تردّد على هذه الزاوية السّلاميّة بشّني نفر قليل من الأتباع نادرا ما يقيمون حلقات الذكر والحضرة السّلاميّة تحت إشراف أحد مقدّمي السّلاميّة بتطاولين. كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الزاوية تفتقر إلى موارد وأجباس خاصّة.⁽³⁾

أمّا الزاوية السّلاميّة الثّانية فمقرّها بلدة الرقبة وهي عبارة عن غرفة واحدة فقط لكنّها الأكثر نفوذاً وإشعاعاً وعراقة من تلك الواقعة في شّني، تولّى الإشراف على شؤونها كمقدّمين وكمشايخ أفراد من عائليّتي الغرياني والجليدي؛ فإلى موفّى 1926، كانت هذه الزاوية تحت تصرّف الشيخ عبد الرحمان الغرياني الذي بقي في الخطة إلى أن أصبح

عاجزا عن أداء مهامه ، ويساعده باستمرار في ترتيب شؤون الفقرا والزوار المقدم محمد بن الطيب بن عبد الصمد الجليدي.

وحري بنا التسجيل أن هذا الأخير قد تقدم بطلب إلى قائد تطاوين مرفوقا بعريضة تحمل أسماء وتوقيعات ما يناهز الخمسين نفرا من أنصار الطريقة قصد تمكينه من خطة مشيخة الزاوية لخلافة الشيخ الحالي الذي أصبح غير قادرا للاضطلاع بوظيفته . لكن وبإحالة ملفه إلى ضابط مكتب الشؤون الأهلية بالجهة تبين أن هذا المقدم قد غرر بأولئك الأنفار الغير منتسبين لسلامية بل إن منهم ما هو قادري ومنهم ما هو رحمانى الطريقة . أضف إلى كل ذلك أن هذا الرجل قد تعلقت به نازلة تدليس بتاريخ 20 جوان 1905 ، وفي الوقت ذاته كان يتمعش باستعمال طرق التحيل والغش⁽⁴⁾ .

وبالمحصلة ، فقد أحجمت الإدارة العسكرية بتطاوين عن الاستجابة لمطلبه دون أن تتخذ في شأنه عقوبات رديئة من قبيل الخلع من خطته الرسمية . لكن تمادي ابن الطيب في تجاوزاته كانت هذه المرة بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير حيث أقدمت سلطات الاحتلال على توقيفه نهائيا من ممارسة نشاطه الطرقي كمقدم بالزاوية السلامية بالرقبة ونصبت مكانه أحد أبناء عشيرته المدعو محمد الخطيب بن عبد الرحيم الجليدي بنفس خطة سلفه وذلك منذ أواخر نوفمبر 1927⁽⁵⁾ . وبموت المقدم محمد الخطيب في بداية 1940 ، انتقلت إدارة هذه الزاوية إلى ابنه محمد الخياري كمقدم أولا ثم كشيخ منذ 7 نوفمبر 1941 وذلك بمقتضى الأمر عدد 182 المؤرخ في 10 جويلية 1941⁽⁶⁾ .

ومحمد الخياري أصيل عرش الجليدات بتطاوين مولود عام 1900 متزوج من مباركة بنت العربي السنوسي ، له تكوين معرفي محترم فهو من خريجي الجامع الأعظم غير أنه محدود الثقافة الفرنسية (يعرف حروف الأبجدية فقط) ، شغل عدلا بجزيرة بمقتضى أمر 24 أوت 1925 ثم برمادة بمقتضى أمر 4 نوفمبر 1927 ، أما ثروته المالية والعقارية فهي متوسطة ، لكن هذا لم يكن مانعا من اكتساب ابن الخطيب لشهرة واسعة⁽⁷⁾ .

وبخصوص موارد هذه الزاوية فهي متواضعة ولا تلبي حاجيات الطريقة بالمنطقة ؛ فمنذ أطوار البناء ، لم تستفد هذه الزاوية من تبرعات وصدقات أهالي الجليدات التي بلغت في أول الأمر 2500 فرنك . أضف إلى ذلك أنه وفي خريف 1936 منحت إدارة الحماية عن طريق مكتب الشؤون الأهلية بتطاوين ما مقداره 1000 فرنك لشيخ هذه الزاوية للإنفاق على الفقرا والزوار⁽⁸⁾ .

وفي 20 فيفري 1937 ، راسل الشيخ محمد الخطيب وزير جمعية الأوقاف بتونس يلتمس منه مساعدة مالية لترميم جوانب من شقق الزاوية المتصدعة ، ومما ورد في رسالته : «... إن الزاوية محتاجة لبعض الترميم ويخشى سقوطه... وبالأخص عجزى المادي عن القيام بما يلزم بسبب الأزمة الضاربة أطنابها بجهتنا »⁽⁹⁾ . وفي السياق نفسه

التجأ الابن محمد الخياري شيخ الزاوية السّلامية بالرقبة منذ أواخر 1941 إلى وزارة الأوقاف طلبا للإعانة والمساعدة المالية (1500 فرنك) بهدف إتمام أشغال ترميم الزاوية.⁽¹⁰⁾

حصىلة القول، فإنّ هذه الزاوية لا تتوفّر على مداخيل قارّة تلبيّ حاجياتها وحاجيات أتباعها وزوّارها ممّا جعلها تعتمد في غالب الأحيان على الصدقات والأعطيات التي يجنيها مريدوها فضلا عن المساعدات التي تحصل عليها سواء من وزارة الأوقاف أو من حكومة الاحتلال لأداء وظيفتها وتعزيز وجودها في المنطقة بين كوكبة الطرق المتنفة. لكنّ الملفات للانتباه أنّ النصيب الأوفر من هذه التبرّعات والإعانات يعود بالنفع إلى شيخ الزاوية، وهذا بصريح ما جاء في إحدى التقارير العسكرية :

« ... El khatib ; personnage intrigant qui vit par des collectes faites pour la zaouïa... »⁽¹¹⁾

ومن نافل القول أنّ نشير إلى أنّ أتباع السّلامية بتطاوين بكلّي الزاويتين (الرقبة وشنني) قد تراوح عددهم بين 200 و300 نفرا سنة 1899 أغلبهم من فريق أولاد حامد من عرش الجليدات، وفي مقدّمة هؤلاء الأتباع نجد خليفة الجليدات وقاضي الجبل الأبيض وكلاهما يشكّلان نوعا من الأرستقراطية الطرقية داخل مؤسّسة الزاوية.⁽¹²⁾ لكن وحسب إحصاء 1925، فقد انخفض عدد أتباع السّلامية إلى 16 فردا فقط. ويعزى هذا الانخفاض في نظرنا إلى سببين رئيسيين: الأول يفسّر بقلّة حجم موارد ومداخيل هذه الطريقة السّلامية بتطاوين رغم وجود وجاهات أرستقراطية متنفة في صفوفها، فهذه الوضعية المادية الصعبة للسّلامية قد شجّعت كثيرا من أنصارها إلى هجرها ومن ثمة التخلّي عنها وعن أنشطتها الهستيرية. أمّا السبب الثاني فهو يرتبط بالأوضاع الطرقية المحليّة، حيث شهدت هذه الفترة تعاظم نشاط الطريقة التيجانية بعمل تطاوين وما انتهجته من أساليب حبك الدسائس والمؤامرات برموز الطرق الأخرى فضلا عن تحرّشها بمختلف الأتباع بهدف استمالتهم إلى صفّها؛ فمن المحتمل أن يطال قمع التيجانية أنصار السّلامية الذين تحت التهيب والتهديد قد تخلّوا عن طريقتهم وقد يكون الكثير منهم قد انخرط في سلك التيجانية الذي ناهز أتباعها على 5000 مريد سنة 1925.⁽¹³⁾

أمّا الطريقة العيساوية في تطاوين فهي محدودة النفوذ وقليلة الانتشار فلا يتجاوز أنصارها العشرين نفرا بكامل المنطقة سنة 1933 دون أن يكون لهم مقرا للاجتماع أو لإقامة أورااد الحضرة العيساوية،⁽¹⁴⁾ ولذلك فإنّهم يتخذون أحيانا من الزاوية السّلامية بالرقبة مقرّهم المفضّل لتقديم مشاهد مشتركة مع نظرائهم من السّلامية يذهل لرؤيتها المشاهدون.

وفي الواقع فإنّ «حفلات» كلّ من العيساوية والسّلامية تندرج تحت مصطلح «حزب» وعادة ما يجري العرض الفرجوي في فضاء حرم الزاوية وهي عبارة عن رحبة فسيحة مهيأة لهذا الغرض ولاستقبال الزوّار. ومن المعروف أنّ الشيخ

أو المقدم هو الطرف المخول بأعمال الحزب بقراءة وترديد بعض الأوراد والأذكار ناهيك عن بعض المدائح التي تمجد الشيخ الأكبر للطريقة والتي تكون مصحوبة بإيقاعات موسيقية موزونة تصدر من آلات البندير والدف والمزمار. حينها ينتفض صنف من المريدين من أماكنهم كالمسعورين وهم يرددون الله! الله!. وفي تلك الحالة يتولّى أحد المقدمين تنظيمهم على شكل نصف دائري مطأطي الرأس وممتدة أيديهم على ظهورهم، عاري أنصافهم العليا يرقصون دون أن يخرجوا عن صفّهم.⁽¹⁵⁾ ويحدث أن يشتد الإيقاع الموسيقي مع تصاعد عثن البخور الذي أحال الجو ثقيلًا ومسكرا فترى من في الصفّ قد اهتز وانفصل عن المجموعة يرقص في حركات بهلوانية ويطلق من حين إلى آخر صرخات مفزعة من نوع (umms).

أما الآخر فقد اندفع يقفز في كل مكان وكأنّي به يبحث عن شيء قد فقده منذ مدة؛ إنّه يبحث عن عقرب لكنّ المقدم يصرخ في وجهه فيهدئ من روعه ثم يناوله مراده: عقرب حيّة يخرجها من أحد الصناديق فيتخطفها منه المريد ويزدريها بنهم وسط زغاريد النسوة المولولة وصياح الصبية المستنكرة، بينما الرجال تراهم وجمون يرددون كلمات من نوع «الله امصلي على النبي». وتستمر حركة الرقص الجنوني إلى أن يتلقّى عناصر الإيقاع الموسيقي إشارة من المقدم مفادها تغيير الأوزان والإيقاعات فيتّجه المقدم إلى المريد فيهمس في أذنه بكلمات لا يدرك معانيها الحاضرون. ومع تغيير الإيقاعات الموسيقية يبرز على الساحة صنف ثاني من الأتباع إنهم أتباع سيدي عبد السلام الأسمر يرقصون فيضربون بأيديهم على صدورهم والمقدم يراقبهم عن كثب، ومن حين إلى آخر يقرب إلى أنوفهم مجرة البخور المتصاعد بكثافة فيشبعون انتشاء منتظرين أن تحملهم الموسيقى الحماسية المتسارعة إلى عالم اللاوعي، وفي تلك الأثناء تصبح الرقصات مذهلة وجنونية فهذا يحوم حول موضع النار الملتهبة ينشد ضالته والآخر يبحث عن لفّة الحلفاء ليشعلها ويمررها على صدره العاري مرّات عديدة دون أن يحترق أو يحسّ بالألم. أمّا سميّه فهو يمسك بمذبة شديدة الإحماء حمراء كاللهيب فيسحبها على لسانه من كلا الوجهين. يحدث كل ذلك وسط ذهول الحاضرين ودهشتهم لرؤية هذه المشاهد السحرية⁽¹⁶⁾.

وبانتها هذه الأنشطة تتولّى فرق المخازنية وبعض ضباط مكتب الشؤون الأهلية بتطاوين تأمين عودة الزوّار والأتباع مظهرين الاعتناء بهم واللطف بحالهم وباحترام طقوسهم ومعتقداتهم، فيعود أولئك الزوّار إلى ديارهم وهم يتحدّثون عن أولئك النصاريّ الذين هم خير من المسلمين⁽¹⁷⁾.

وعلى صعيد آخر، سيتمّ التطرّق إلى مجموعة الرّحمانية الملقّبون أيضا بالرّحامنة أو بالعزّوزيّة بصفتها أحد الطّرق العريقة التي استطاعت أن تجد لها أتباعا في بعض قرى تطاوين والذين بلغ عددهم سنة 1925 3514 مريد⁽¹⁸⁾. لكن دون أن تكون لهم زوايا خاصّة يمارسون فيها نشاطهم الطرقي (الأذكار، الأوراد). وبانعدام هذه المراكز يلتجئ عناصر الرّحمانية إلى مساجد البلدات التي تمثل أهمّ مجالات نفوذها. وهنا نلاحظ أنّ المسجد بما هو أحد دور العبادة قد يتحوّل إلى زاوية تمارس فيه أوراد الطريقة وأذكارها⁽¹⁹⁾.

ومن ناحية أخرى ، يشكّل أتباع الرّحمانية بعمل تطاوين قرابة نصف أهالي الدويرات وشنني وقرماسة وغمراسن يتولّى أمرهم وجهات طرفيّة ثانويّة من قبيل الوكيل أو النائب نظرا لعدم توفّر خطّة شيخ أو مقدّم : ففي بلدة الدويرات (تقع على مسافة 9كم جنوبي تطاوين) يمثّل الطريقة الرّحمانية فيها العدل علي بن الحاج سالم بصفة وكيل . أمّا في بلدة شنني ، فيمثّل العدل بن مكاحل نائبا عن مجموعة الرّحمانية بالجهة . وفي الأخير أشرف العدل الحاج مبروك بن سليمان على شؤون العروزيّة ببلدة قرماسة (تقع على مسافة 20كم شمال غرب تطاوين) بخطّة وكيل (20) .

وإجمالاً ، فقد حافظت الطريقة الرّحمانية بعمل تطاوين على وحدتها وتماسكها ولم يتأثر أتباعها بتهديدات عناصر التيجانية الدّاعية إلى التخلّي عن طريقتهم السّابقة والالتحاق بصفوفها ، بل على العكس فقد ظلّوا على ثباتهم وولائهم لرموز الرّحمانية بالمنطقة (21) .

ومنذ بداية القرن العشرين ، استطاعت الطريقة القادرية أن تجد لها موطأ قدم بعمل تطاوين فتمّ في هذا الإطار بعث أوّل زاوية قادرية بالجهة وبالتحديد في بلدة الرقبة وذلك منذ 1903 تقريبا . وقد تداولت على إدارة هذه الزاوية وجهات محليّة متنفّذة أشهرها رجالات من عشيرة الجليدات وتحديدًا من فريق أولاد حامد وذلك في مختلف التّسميات والخطط . ومن أهم رموز هذه العائلة حريّ بنا التوقّف مع شخصيّة الأمير بن الحاج الطيّب الجليدي فمن يكون هذا الأخير؟

هو الأمير بن الحاج الطيّب بن عبد الصّمد الجليدي ابن مفتي تطاوين الأسبق المخلوع سنة 1881 بجرم السرقة (22) ، مولود في 1853 بالرقبة تطاوين ينحدر من أسرة عريقة وذات حظوة اجتماعية هامّة لكنّها قليلة الثّراء المادي (23) حفظ شيئا من القرآن ثمّ التحق بالجامع الأعظم بالحاضرة حيث درس فيه لمدة سنتين ثم عاد إلى مسقط رأسه وتقلّد خطّة الإفتاء عوضا عن والده المتوفّي في 1881 وذلك باقتراح من حاكم الأعراض حينذاك الجنرال يوسف أليقرو (24) . لكن سيرته السيّئة قد جعلت منه مصدرا للعديد من التشكيّات والمرافعات ، ففي 1887 ، وقع خلعه من خطّة الإفتاء بجنحة السرقة التي تورّط فيها ببلدة الزارات من عمل قبّاس . ونتيجة لذلك فقد قوضي أمام محكمة الشرع الإسلامي بقابّاس التي أصدرت في شأنه حكما بالسجن لمدة سنتين قضاهما في منفى (25) Lambessa .

وفي 1890 ، اشتغل ابن الطيّب قاضيا بالجبل الأبيض بالنيابة عن القاضي الأسبق بن حميدة الذي تقلّد مشيخة الزاوية القادرية بمدنين . (26)

وللإشارة فإنّ لهذا الرّمز الطرقي عددا من الخطط أهمّها أنّه عين نائبا شبه رسمي لشيخ الطريقة القادرية بمقتضى التنصيب الفخري الذي منحه إيّاه الشيخ قدّور الميزوني الشيخ الأكبر للطريقة القادرية بالكاف في 1891 . ثمّ وبعد أربع سنوات أي في 1895 ، تحصّل الأمير بن الحاج الطيّب على لقب مقدّم قلّده إيّاه الشيخ محمّد بن إبراهيم بن أحمد

الكبير الشيخ الأكبر للزّاوية القادرية بنقطة وذلك بعد طلب وإلحاح من والده الحاج بن الطيّب⁽²⁷⁾ . إلى جانب ذلك ومنذ 1904 ، فهو محافظ بالزّاوية القادرية بالرقبة تطاوين التي أشرف على بنائها بنفسه . كما أشارت بعض التقارير العسكرية إلى أنه (الأمير) ينتمي رسمياً إلى الطريقة الرحمانية وقد يكون عضوا بارزا في السنوسية أيضا⁽²⁸⁾ . ومن ناحية أخرى ، ليس ثمة ما يفيد إلى وجود أحباس خاصة أو عامة تعود بالنفع إلى الزّاوية القادرية بالرقبة تطاوين ، بل إن كل ما في الأمر هو مجموعة من الممتلكات المنقولة المتمثلة تحديدا في رؤوس أموال متأتية من مصادر عديدة ومتنوعة أهمها على الإطلاق مساهمات قايد ورغمة المدعو مسعود بالعربي المتحمس كثيرا للطريقة القادرية والذي كانت تربطه بالأمير بالحاج الطيّب وشائج عميقة وصلات قوية⁽²⁹⁾ . ولا مندوحة من الإشارة أيضا إلى أن هذا الأخير قد دأب على التنقل بين العروش والمناطق في تطاوين لبث الدعاية ولجمع التبرعات بنفسه . أما في الخارج فإن هذه المهام موكولة في غالب الأحيان إلى زمرة من مساعديه البارزين الذين يخرجون كل عام بل أكثر من مرة في السنة لابتزاز أموال البسطاء والسذج من الأهالي .

كما مثّلت زيارات عائلات من جرجيس ومدنين وبنقردان فرصة سانحة لتنمية مداخيل الزّاوية . زيادة على ما يحملونه معهم من أعطيات عينية (لحوم ، زيوت ، حبوب ، منسوجات)⁽³⁰⁾ .

وبالجملة ، فإن حيزا هاما من هذه المبالغ المتحصل عليها قد وُظف في أشغال بناء الزّاوية الوحيدة بالجهة . في حين أن الهدايا والصدقات العينية توزع وفق المعادلة التالية : سهم هام للشيخ الأمير ونصيب وافر لنفقات الولائم والمآدب وما تبقى يقع تقسيمه على الفقراء والمساكين⁽³¹⁾ . لكن وفي سنوات المسغبة والنّوائب ، يتكفل الشيخ الأمير بإطعام الفقراء والبؤساء من الزوّار والأهالي الذين يدينون إليه بالولاء محليا أو حتى خارجيا : ففي أكتوبر 1952 ، طلب هذا الشيخ تمكينه من رخصة لنقل 1000 كغ من القمح من مناطق باجة والدهماني ومجاز الباب وتاجروين⁽³²⁾ .

ولابد من الإشارة في هذا السياق إلى أن الشيخ الأمير يتمتع بنفوذ واسع وجاه عريض إلى جانب ما امتلكه من نشاط فياض بفضل حصافته ولياقته المتميزتين ، وبالتالي فقد نجح في استقطاب عديد الأتباع وصل عددهم إلى 4500 مريد سنة 1922 وطائفة هامة من الزوّار مما أضّر بمقام الولي الصّالح سيدي عبد الله بوجليدة⁽³³⁾ .

وفي مساء كل يوم اثنين وجمعة ، يعقد الشيخ الأمير حلقة ذكر بمقر الزّاوية وبحضور عدد هام من أتباعه البالغ عددهم 500 نفر سنة 1906 في جو من الشّطحات والأهازيج⁽³⁴⁾ . وأثناء حلقات الذكر والسماع يحدث أن يقوم أحد الفقراء فجأة وقد ذهب به الشوق والوجد كل مذهب رافعا عينيه إلى السّماء ويهمهم بكلمات غير مفهومة فيجذب بعض الأتباع إليه فرادى أو جماعات فيرتفعون جميعهم بعيونهم إلى نحو وجهة عيني الأول وهم يغنون ويرقصون ويرسمون بعض الحركات . ثم يخيم على الحلقة جو من السكون والهدوء ويلف الفقراء المتخمرين بروح الحضرة القادرية هالة من

المهابة والوقار. وأحيانا قد يقوم أحد الإخوان من جديد فيبتدئ مشهد آخر وهكذا دواليك إلى أن يرفع مجلس الذكر بقراءة ورد الخلاص⁽³⁵⁾.

هذا وأن الشيخ الأمير يروي لاتباعه أنه يستجيب دائما لأوامر الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يزوره في الليل ويحدثه بعدة مطالب⁽³⁶⁾. ومما يجدر تسجيله أيضا أن للزاوية القادرية بالرقبة تطاوين مدرسة قرآنية يختلف إليها بعض الصبية لحفظ القرآن، وهي - شأنها شأن الزاوية - تخضع لمراقبة مستمرة⁽³⁷⁾.

وفي فاتح نوفمبر 1906، تقدم الجيلاني بن عبد القادر الشلاخي ابن شيخ الطريقة القادرية بجربة بطلب إلى مكتب الشؤون الأهلية بتطاوين يلتمس فيه الحصول على ترخيص لتأسيس زاوية قادرية بقصر زنادق من مشيخة الدغاغرة (جنوب شرق تطاوين) لكن سلطات الاحتلال ممثلة في القائد العسكري الأعلى لدائرة مدين قد رفضت طلبه بدعوى أنه لا توجد حاجة لبعث زاوية قادرية أخرى بالجهة قد يخلق وجودها النزاعات والصراعات المهددة باستقرار المنطقة⁽³⁸⁾.

ومن ناحية أخرى، فإن الشيخ الشلاخي كثيرا ما يتردد مع ابنه على مناطق جرجيس وبنقردان ومدين في محاولة منهما لبسط نفوذهما الطرقي على أتباع هذه المناطق المذكورة ولكسب بعض الدراهم والصدقات. وفي تطاوين لم تلق أفكار الشيخ الشلاخي أذانا صاغية بل إن إخوان القادرية قد ثاروا في وجه ابنه متهمين إياه باستغلال أموال الصدقات والتبرعات في تنمية عملياته التجارية التي أصابها الكسد والركود. ونتيجة لهذه التصرفات، فقد تقرر قطع التواصل مع الزاوية القادرية بجربة⁽³⁹⁾.

وبعد الأمير بن الحاج الطيب الجليدي كمحافظ على الزاوية القادرية بالرقبة تطاوين (1903 - 1906) ثم كمقدم (1908 - 1917) فشيخ بنفس الزاوية، نسلط الضوء على رمز طرقي آخر سليل المجد والشرف؛ نفكر بالأساس في محمد بن الحاج علي بن محمد الجليدي شهر "الطبيبي" مولود في 1879 ومقتن بخضراء بنت عمر الزواوي له أربع أطفال (ولدين وبنتين)، تحصيله العلمي محترم حيث أنه يجيد العربية قراءة وكتابة وله أيضا شيء نسبي في الفرنسية نطقا وقراءة. أما مكاسبه المادية فهي هامة ومتنوعة إذ له بساتين نخيل وكروم ورمان فضلا عن بعض رؤوس الإبل والأغنام. وفي 1905، حاز الطبيبي على الصنف الخامس من نيشان الافتخار. وبمقتضى أمر 23 أوت 1927، تم تعيين هذا الرجل شيخا على الزاوية القادرية بتطاوين ثم خلفه من بعده الحفيد محي الدين بن الأمير بن الحاج الطيب بن عبد الصمد الجليدي منذ 22 ديسمبر 1953⁽⁴⁰⁾.

وهكذا فإن التنفذ الطرقي بعمل تطاوين في مقابل هامشية بعض المجموعات الطرقية يستجيب إلى عدة مقاييس ومستويات تختلف من طريقة إلى أخرى ومن ذلك نشير إلى أهمية القاعدة الشعبية أو ما يعرف بالراسمال

البشري فالفارق بين المجموعات الطرقية بعمل تطاوين على مستوى الأتباع عريض إذ نجد طريقة تعدّ بعض الآلاف من الأتباع ؛ القادرية مثلا وأخرى بعض العشرات ؛ العيساوية مثلا. أمّا في ما يتعلّق بحجم الموارد المالية فهي ذات أهمية بالنسبة للقادرية والسلامية ومتواضعة عند الرّحمانيّة وضعيفة بالنسبة للعيساوية⁽⁴¹⁾.

ومما لا شكّ فيه من أنّ الاستعمار الفرنسي قد لعب دورا رياديا في تقزيم مجموعة طرقية على حساب أخرى.

2- التيجانية في تطاوين : حضور متأخّر نسبيا وعداء شمل جلّ الطّرق المحليّة.

من نافل القول أن نشير إلى أنّ حضور الطريقة التيجانية بعمل تطاوين قد جاء شبه متأخرا نسبيا بالمقارنة مع بقية الطّرق الأخرى التي تجذرت بالمنطقة منذ عهد بعيد أي قبل حدث انتصاب الحماية بتونس في 1881.

فالمجموعة التيجانية قد رأت النور بربروع تطاوين على إثر أحداث 1916 حيث أنّ الحاكم العام بالجزائر قد أحال في هذا الصّد إلى المقيم العام (بكثير من الإلحاح) الموافقة على طلب الالتماس الذي تقدّم به البشير بن محمد بن محمد العيد الشيخ الأكبر لفرع التيجانية بتمّاسين الجزائر والذي رخص لمقدّم الطريقة بالواد المدعوّ محمد بن فرج بإقامة زاوية لأتباع التيجانية على أطراف تطاوين وتمّ له ذلك في ربيع 1926⁽⁴²⁾.

والغرض من هذا المشروع المرتقب في نظر شيخ التيجانية الأكبر بتمّاسين هو استعادة الهدوء والنّظام العام بعد الاضطرابات العنيفة التي عصفت بالجنوب التونسي خلال ما يعرف بانتفاضة الودارنة في 1916، وفي نفس الوقت العمل على نشر المذهب التيجاني وكذلك المناذاة بتقديم مشاهد الإخلاص والوفاء لدولة الحماية⁽⁴³⁾.

والجدير بالملاحظة أيضا ، أنّ التيجانية قد عرفت عند البعض بالطريقة المحمّدية لأنّ مؤسسها أحمد التيجاني قد أعلن لأتباعه "أنّ الرّسول نفسه قد ظهر له ورخص له ببدء عمله" وأمره في نفس الوقت "بترك جميع الطّرق الصّوفيّة الأخرى"⁽⁴⁴⁾.

وتبعاً لذلك فقد أمر مشايخ التيجانية الأتباع المنضمين إلى الطريقة بعدم الخروج عن الصف العام للمجموعة أو الالتحاق بمسلك صوفي آخر؛ فكلّ من يخرج عن تعاليم الطريقة التيجانية هو خروج عن المنهج المحمّدي وبالتالي فهو مرتدّ وكافر⁽⁴⁵⁾ وهكذا فإنّ الشيخ أحمد التيجاني لا يقبل إلا الرّسول كسلطة عليا بعد الله سبحانه وتعالى⁽⁴⁶⁾.

وفي الملحق العسكري بتطاوين، بلغ أحباب التيجانية في أفريل 1916 ما يقارب عن 300 عنصرا يجتمعون لعقد مجالس الذكر سواء بأحد المساجد بالمنطقة أو في منزل مقدّم الطريقة الحاج سعد بن نصر القاضي نظرا لعدم توفّر زاوية لهم يمارسون فيها نشاطهم الطّريقي⁽⁴⁷⁾. أمّا في سنة 1925 فقد بلغ أنصار التيجانية بكامل تطاوين 5031 فرد أي بنسبة تطوّر عامّة قدرّت ب 67,7% أي أنّ عددهم قد تضاعف 15 مرّة بين 1916 - 1925. وقد يفسّر ذلك في نظرنا بسببين اثنين: أوّلا حداثة الوجود الطّريقي للتيجانية كظاهرة جديدة استطاعت استقطاب قطاعات هامة ومتباينة من

المجتمع المحلي؛ فكلّ ما هو جديد يجد في الغالب الأعم استهلاكاً ورواجاً واسعاً خاصة عندما يتعلّق الأمر بالوجدانيات وبالروحانيات. أمّا السبب الثاني فهو يعود إلى النشاط الفياض الذي اتّبعته الجهات المحلية للطريقة التيجانية والتي ضمت إلى صفوفها عناصر متنوّعة من قبيل القضاة والعدول وغيرهم وما لهؤلاء من تأثير كبير في جذب شرائح اجتماعية واسعة ومتباينة بالترغيب حيناً وبالترهيب حيناً آخر. وفي كلمة فقد لاقت الحملة الدعائية للطريقة التيجانية في عمل تطاوين صدى وتجاوباً حسناً شمل الوسط الحضري والبدوي على حدّ السواء وهذا ما يترجم الارتفاع الكبير لعناصر هذه الطريقة.

ومما يجدر تسجيله أيضاً أنّ أهل الحل والعقد في الطريقة التيجانية يعمل تطاوين هم من ذوي التّحصيل العلمي المحترم واليسار المادّي المرموق، فنجد من ضمنهم القضاة والعدول والأئمة بدرجة أولى وهم في أغلبهم من خريجي الجامع الأعظم اكتسبوا ثروات عقارية هامة وموارد مالية محترمة لعب الاستعمار دوراً كبيراً في تنميتها. أمّا البقية فهي تتكوّن من عناصر الطلبة الذين يزاولون دراستهم في جامع الزيتونة وكانوا قد انخرطوا حديثاً في المجموعة التيجانية، إضافة إلى لفيّف من إداري المخزن النظامي⁽⁴⁸⁾.

وبالمحصلة، فقد تمكّن جميع هؤلاء بفضل قوّة وجاهتهم المادية والمعنوية من تجنيد مئات من الاتّباع ظلّوا دائماً رهن إشارة شيخهم الأواحد بتطاوين سعد بن الحاج نصر القاضي الجليدي الذي تقلّد خطة عدل بالجبل الأبيض منذ 16 سبتمبر 1898. لكن وعلى إثر تعدّد انحرافاته وتجاوزاته فقد تمّ خلعه من خطّته المذكورة بأمر من الوزير الأكبر مؤرخ في 15 ماي 1918.⁽⁴⁹⁾

وعلى صعيد آخر، يشرف على أحباب الطريقة التيجانية بعمل تطاوين عدد من المقدمين (16 مقدّماً سنة 1916) أصيلي الجهة⁽⁵⁰⁾ يعقدون حلقات الذكر بصفة دورية في مناسبات معينة وبعد كل صلاة مكتوبة وكذلك مساء كلّ يوم جمعة فيردّدون أورايد وأحزاباً مختلفة ومتنوّعة منها على سبيل الذكر لا الحصر:

* أستغفر الله العظيم (100 مرّة).

* الصلّاة على النبي صلى الله عليه وسلّم بأيّ صيغة كانت وإن كانت بالصيغة الفاتحية أفضل وهي «اللهم صلّ على سيّدنا محمد الفاتح لما أغلقه الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم».

* الكلمة المشرفة وهي لا إله إلا الله (100 مرّة).

* وظيفة اليوم تردّد مرّة واحدة في اليوم وهي أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحيّ القيّوم وأتوب إليه (30 مرّة)⁽⁵¹⁾.

هكذا إذا يبدو جلياً من خلال هذه الأوراد أن عناصر التيجانية كغيرهم من أتباع الطرق الصوفية الأخرى يهتمون بضبط العدد في أورادهم اهتماماً ملحوظاً فهم حريصون على أن لا يزيدوا في الذكر أو أن ينقصوا منه شيئاً، ويعتمدون لأجل ذلك المسبحة أو حبات الحصى أو أحياناً الذكر بعقد أنامل أصابع اليد اليمنى⁽⁵²⁾.

وفي كل تلك الحالات يتم الذكر حسب شروط وآداب محددة كالوضوء واستقبال القبلة والجلوس على الركبتين، فضلاً عن طهارة الثوب والمكان. أما الضوابط الروحية الواجب توفرها في المريد خلال كل عملية ذكر فهي تتمثل في الحضور القلبي في حالة من الخشوع والتذلل دون رقص أو شطحات لتطهير النفس من العلل الخسيسة وبالتالي بلوغ مستوى الأنوار والإشراقات الباطنية والوجدانية⁽⁵³⁾.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن الطريقة التيجانية بعمل تطاوين قد بعثت في 1933 أحد مقدميها البارزين وهو العدل محمد الشقي لزيارة الشيخ أحمد بن محمد التيجاني بتونس. أما المقدم الآخر عبد الله بن الحاج سعيد الفورتي الغمراسني فقد زار سنة 1940 شيخ التيجانية الأكبر بتماسين الجزائر⁽⁵⁴⁾.

وبالتوازي، فقد وفد على جهة تطاوين وفي مناسبات عدة أعضاء بارزين من تيجانية الجزائر من سوف، من الواد، من تماسين وكانوا قد نزلوا بدار المقدم الحاج نصر بن سعد القاضي. ومن هذه الزيارات نشر إلى زيارة مقدم التيجانية بالواد محمد بن فرج سنة 1912 وكذلك زيارة الشيخ أحمد بن محمد شيخ التيجانية بتلمسان⁽⁵⁵⁾. وهي في الغالب تأتي في إطار تبادل الوظائف والأدوار سواء لتلقي مزيد من التعليمات أثناء كل عملية تسمية جديدة أو لتهدئة الخواطر عقب الأحداث المتواترة. وهي تصب في خانة واحدة هي الإخلاص والوفاء لدولة الحماية d'inviter ... les gens au calme et à l'obéissance de la France, nation de la justice et de l'équité.»⁽⁵⁶⁾

ونبقى في تطاوين لنشير إلى أن أعمدة الطريقة التيجانية قد سعت منذ 1916 إلى استئصال شأفة كل المنكرين والمخالفين للمذهب التيجاني والمقصود بهم تحديداً رموز وأتباع الطرق الصوفية الأخرى بالجهة والذين استبقوا نظرانهم التيجانية للئى الساحة على حسابهم وتمتعوا بالتالي بنفوذ مادي ومعنوي عريقين.

ويكفي أن نشير هنا إلى أن محمد بن الطيب الجليدي مقدم الطريقة العروسية بتطاوين قد اشتكى إلى السلطات العسكرية من مظالم وتعديات عناصر التيجانية بالجليدات وخاصة من جور الأفراد سعد بن محمد الجليدي ابن عشيرته و محمد الدوكالي الشافعي وخصوصاً من سعد بن الحاج نصر القاضي مقدم الطريقة التيجانية بالمنطقة لكونهم جميعاً يتعاملون عليه متهمين إياه بنوازل باطلة بغية الإيقاع به.⁽⁵⁷⁾

أما أتباع السّلامية فإنّهم غالبا ما يكونون عرضة لتحرش عناصر من مليشيا التيجانية فتتشب بين الطرفين صراعات حادة تتمثل في تبادل العنف اللفظي والبدني، ويحدث كل ذلك على مرأى ومسمع من قوّات الاحتلال دون أن تنبس ببنت شفة.

وعلى غرار ما تعرّض له رموز السّلامية وأتباعها بتطاوين من قهر وقمع على يد أنصار التيجانية، فقد تحرش هؤلاء الآخرين أيضا بأفراد من الطريقة الرحمانية من ذلك مثلا ما اقترفه كل من عبد الله بن الحاج صالح القاضي وعلي بن عمر القطوفي أحد أبرز وجوه التيجانية بالمنطقة من أعمال نهب وسلب استهدفت ممتلكات لأفراد من الرحمانية بغمر سن⁽⁵⁸⁾. وقد أودعا عنصرا التيجانية السالف ذكرهما السّجن بعد أن ألقت قوّات المخزن النظامي القبض عليهما في انتظار بدء محاكمتهم. لكنّهما نجحا من الإفلات من معتقلهما بعد أن نزلوا به ثلاثة أيام فقط بتواطؤ أحد حراس السّجن. فما إن تأكّدا من إطلاق سراحهما حتّى قصدا دار المقدّم سعد بن الحاج نصر القاضي الذي أوامهم في بيته الخاص. لكنّ سلطات الاحتلال تفضّلت إلى أمرهما فاستدعت المقدّم إلى المكتب الحربي لاستجوابه ودعته فورا إلى تسليم المتهمين للعدالة. ومما جاء في جواب المقدّم بعد استجوابه قوله je les ai trouvé dans le groupe de mes amis, je les savais prisonniers mais je suis Moukaddem et non pas cavalier de maghzen, et je n'ai pas des qualities pour amener en prison les détenus qui s'en échappent. D'autre part, ces sont des Tijanis et j'accompagne chez moi tous les Khouanes. »⁽⁵⁹⁾.

أما أشهر هذه الصّراعات الطّرقية تلك التي وقعت بين عناصر التيجانية وعناصر القادرية بعمل تطاوين. وفي هذا الإطار، فقد تولّى 51 نفر من قادريّة الجهة تحرير عريضة شكوى في الغرض تحمل أسماء المشتكين وتوقيعاتهم أرفقت برسالة من شيخ القادرية بالمكان المدعو علي لعريض موجهة إلى شيخ مشايخ القادرية بتونس صالح بن شعبان وفيها يشتكى هذا الشّيخ من تجاوزات لفييف من عناصر التيجانية بحقه وبحق أتباعه حيث منعه من ممارسة نشاطه الطّرقى⁽⁶⁰⁾.

ومما جاء في رسالة الشّكوى أنّ أفراد التيجانية يقومون باعتقال كل من يجدوه طريقتهم قادريّة أو غيرها يتمكّنوا به ويرفعوه بين يدي سيدي سعد ويتجمّعوا به ويبقون يشتمون في جميع الأهالي التي لم تكن تيجانية وبيدّلوه وايقبلّبوهم... وكل من يقول لهم والدي قادري وأنا تابعه يقولوا له والدك من أهل جهنّم ولازم تعصيه ولا تأخذ كلامه»⁽⁶¹⁾.

وكان هؤلاء جميعا (السّلامية، القادرية، الرحمانية) وغيرهم من الأهالي يعتبرون أنّ الطّائفة التيجانية فصيل طرقي عمل منذ تواجده بأرض تطاوين على ترويج البدع ونشر الأباطيل بين النّاس وخاصّة من خلال تشجيعه للسرقة والقتل بحق غير التيجانية «...Semant la perturbation et encourageant le vol et le crime»⁽⁶²⁾.

وفي الحقيقة، فقد أدى تواجد العديد من الطرق الصوفية بعمل تطاوين - وسعي كل منها إلى كسب أكثر ما يمكن من الأتباع لتنمية الثروة والظهور بمظهر الطريقة الأكثر تنفذاً محلياً - إلى نشوب صراعات حادة بين الطرق، كانت التيجانية الطرف الرئيسي فيها Des disputes entre les adeptes des confréries concurrentes. لأن أفراد هذه الأخيرة ينكرون كل الطرق الأخرى فيقولون « إن سائر الطرق باطلة إلا طريقة واحدة هي طريقة سيدي أحمد التيجاني»⁽⁶³⁾.

وأمام تفاقم أعمال العنف بين أتباع التيجانية من ناحية وأتباع الطرق الأخرى كلف الوزير الأكبر بالحكومة التونسية ممثله الرسمي بورغمّة العامل الجويني بتهدئة الأوضاع وباحتواء العناصر المشاغبة للتيجانية لحفظ الأمن العام ولتحقيق المصالحة بين الطرق⁽⁶⁴⁾.

وفي الوقت ذاته، اكتفت قوات الاحتلال بالجهة بتوبيخ كل من مقدّمي القادرية والتيجانية. كما عملت بتنبيههما بحزم أنهما سيقع تأخيرهما عن نشاطهما الطرقي في حال وقوع أول شكوى في شأن كل منهما⁽⁶⁵⁾.

II/ الطرق الصوفية بالدائرة العسكرية بتطاوين والتحديات المفروضة

كل الأحداث المستجدة بالقطر الجزائري قد دفعت بحكومة الاحتلال الفرنسي إلى وضع إستراتيجية دقيقة وصارمة حيال الطوائف الطرقية الفرعية؛ الموجودة بالدائرة العسكرية بتطاوين خاصة وفي منطقة التراب العسكري عامة وذلك من خلال اعتماد سياسة التضييق بشتى الوسائل على التي تناهضها.

1/ السياسة الاستعمارية تجاه الطرق الصوفية بالدائرة العسكرية بتطاوين

أ- سياسة المراقبة والمعاقبة.

إن طبيعة الفكر الطرقي وما يثيره من تعصب وعدوانية ضدّ الأجنبي الرومي المدّس لأرض الإسلام، إلى جانب العلاقات الموجودة بين الطريقة وزواياها بمختلف أنحاء الدائرة العسكرية بتطاوين وما يتطلبه ذلك من تبادل للزيارات الشبه الدائمة بين المركزي والمحلي في الدّاخل والخارج فضلاً عن متانة الروابط الروحية بين الشّيخ والمريدين وما يقف وراء ذلك من طاعة شبه مطلقة لدالأب الروحي للطريقة، كل ذلك قد دفع بالسلطات الفرنسية إلى اتخاذ عدّة إجراءات دقيقة وصارمة تركّزت بالدرجة الأولى على مراقبة شيوخ الطرق الصوفية (مشايخ، مقدّمين...) وذلك من خلال عدّة أساليب وأشكال شملت مستويات مختلفة ومتنوعة. فعلى المستوى الإداري، عملت الإدارة العسكرية الفرنسية على مراقبة شيوخ الزوايا (وأحياناً المقدّمين) بحيث لا يتم تعيين سوى المشايخ الذين لهم وجهة اجتماعية مرموقة ونفوذ هام على الأهالي دون أن يغفل عن شرط الإخلاص والوفاء لحكومة الحماية⁽⁶⁶⁾. كما فرضت فرنسا على الوزير الأكبر عدّة تدابير إجرائية وجب على المترشح توفيرها على غرار تعميم بطاقة إرشادات تتضمن معلومات شخصية هامة (الاسم الثلاثي

للمترشح، قيمة ثروته، درجة معارفه... إلى جانب استشارة العامل عن كل مترشح جديد لخطة المشيخة⁽⁶⁷⁾. كما يتضمن ملف المترشح بطاقة النظافة لمعرفة خلوسجله من أية سوابق عدلية ناهيك عن مواقفه وميولاته الحزبية والسياسية⁽⁶⁸⁾.

وعلى صعيد آخر، وجب على المترشح أن يكون أهلا لخطة المشيخة من حيث معرفته بمبادئ الطريقة وتوفر شروط اللياقة فيه. كما يسعى المترشح إلى كسب ود الأتباع الذين يتولون تحرير عريضة تحمل أسماءهم وتوقيعاتهم يتم إرسالها إلى الشيخ الأكبر معربين عن رضاهم عن المترشح الجديد⁽⁶⁹⁾.

وبالمحصلة، فقد تمكنت الإدارة العسكرية الفرنسية من خلال تقنياتها لشروط وانتداب مشايخ الطرق من انتقاء صنف خاص ومعين من الشيوخ قادرين على فرض نفوذهم وهيبته على الأتباع والأهالي الذين يرزحون تحت نير سلطة عسكرية غاشمة؛ الجور صفتها والقمع مبدؤها⁽⁷⁰⁾.

وكذلك محمد بن الحاج علي بن محمد الجليدي شيخ الطائفة القادرية بتطاوين منذ 23 أوت 1927⁽⁷¹⁾. وبعبارة مجملية، فقد احتفظت الإدارة العسكرية بالكلمة الفصل في الموافقة أو الرّفص على تسمية مشايخ الطرق بالدائرة العسكرية بتطاوين مما جعل رأي الشيخ الأكبر للطريقة لا قيمة له أمام مصالح دولة الحماية. كما وجب على المترشح أن لا يدخر جهدا في كل ما يطلب منه من مساعدة للإدارة العسكرية⁽⁷²⁾.

لكن وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات الإدارية في اختيار «المشايخ المخلصين»، فإن السلطات العسكرية قد أمعنت في اتخاذ التدابير الأمنية الصارمة التي تركّزت هذه المرة على رصد ومراقبة تنقّلات مشايخ الطرق داخل البلاد أو خارجها؛ إذ جرت العادة عند جلّ الطرق الصوفية أن يقوم الشيخ مرة في السنة أو أكثر بزيارة رسمية إلى شيخ الطريقة الأكبر بتونس أو بالجزائر لأخذ مزيد من الوصايا والتعليمات وفي نفس الوقت لجمع بعض المبالغ المالية من الأتباع والزوّار الذين يجتشدون بالمئات لاستقبال شيخهم طلبا للثواب ونيلا للبركة على نحو ما يعتقدون⁽⁷³⁾. وعليه ونظرا لكل هذه الاعتبارات وسعيها منها لإضعاف الطرق، أصدرت السلطات العسكرية قوانين (مناشير) حجّرت الزيارات الغير مرخصة لشيوخ الطرق الذين أصبحوا مطالبين قانونيا بالحصول على إذن مسبق أو ترخيص خاص من مصلحة مكتب الشؤون الأهلية بمنطقتهم وذلك تطبيقا للأمر عدد 3 المؤرخ في 9 جانفي 1913. أما الأمر عدد 13 والمؤرخ في 24 أوت 1921، فقد وضّح لشيوخ الزوايا الإجراءات القانونية الواجب اعتمادها في التنقل من الجزائر إلى تونس والعكس، وقد تدعّم هذا القانون بمنشور إضافي صادر في 13 نوفمبر 1934⁽⁷⁴⁾.

وهكذا إذا ومن خلال سنّ هذه القوانين، فقد مشايخ الطرق الصوفية بالتراب العسكري التونسي حرية التنقل التلقائي بل إنهم أصبحوا مطالبين قانونيا قبل تنقلهم بتقديم مطلب إلى إدارة بيرو عرب التي يعودون إليها بالنظر مع

ما في ذلك من ملاحظة وإضاعة للوقت وحتى تعطيل المصالح الذاتية لأولئك الشيوخ؛ ناهيك عن الشعور بالضييق خاصة عند رفض مطلبهم وعدم تمكينهم من ترخيص دون توضيح لأسباب المنع⁽⁷⁵⁾.

على أن سياسة المراقبة التي اعتمدتها السلطات الفرنسية لشيوخ الطرق بالدائرة العسكرية بتطاوين لم تقف عند حد أخذ رخص مسبقة للتنقل، بل إنها طلبت منهم بتقديم جملة من التوضيحات اللازمة منها:

* شرح وتفسير أسباب وغايات التنقل (شراء كمية من الحبوب، زيارة أقارب، زيارة شيخ الطريقة...) حتى يتيسّر لسلطات الاحتلال معرفة مسالك التنقل والعبور وبالتالي سهولة مراقبة المشبوه فيهم من المشايخ⁽⁷⁶⁾ مثل سفر شيخ القادرية بتطاوين الأمير بن الحاج الطيب إلى مناطق باجة ومجاز الباب وتاجروين والدهماني قصد التزود بكميات من الحبوب وذلك في أكتوبر 1952⁽⁷⁷⁾.

* تحديد الأماكن التي ستتم الإقامة فيها خلال الرحلة مع تحديد العنوان وضبط مسالك التنقل والالتزام بالمثل أمام السلطة المعنية حال وصول المكان المقصود. ويمكن الاستشهاد في هذا السياق برحلة شيخ القادرية بتطاوين الأمير بن الحاج الطيب الجليدي الذي تحصل على إجازة مدتها 40 يوما قصد التنقل إلى تونس والكاف لإلحاق ابنه بالجامع الأعظم ولزيارة الشيخ الأكبر للطريقة بالكاف الحاج قدور الميزوني. وقد ضبطت الإدارة العسكرية بتطاوين مدة إقامته بتونس بـ 15 يوما وبالكاف 10 أيام⁽⁷⁸⁾.

أما محليا والمقصود به داخل الدائرة العسكرية بتطاوين، فقد اتخذت السلطات الفرنسية عدة إجراءات تعسفية تجاه مجمل شيوخ الطرق ومنها:

مراقبة حلقات الذكر التي يعقدها شيوخ الطرق وإعداد تقارير مفصلة تتضمن نوعية الأوراد الخاصة بكل طريقة وعددها وكيفية ترديدها. إلى جانب وصف الأزياء الخاصة بالاتباع (اتباع الرحمانية لهم أزياء بيضاء، أما أتباع العيساوية فأزياءهم خضراء)⁽⁷⁹⁾.

- التركيز على العناصر المتنقلة بكل زوايا الطرق الصوفية بالدائرة العسكرية وكشف نوعية علاقاتهم بالداخل (العامل، الخليفة...) أو بالخارج (التوارق، البدو...) (80).

ب- سياسة التفجير والتهميش

في الوقت الذي أبدى فيه شيوخ الطرق الصوفية بالدائرة العسكرية بتطاوين تجاوبا مفروضا مع سلسلة الإجراءات المتخذة ضدهم في مختلف المجالات (الإدارية، السياسية...) عليهم يكسبون من وراء ذلك وذو ورضاء ضباط مكاتب الشؤون الأهلية بالمنطقة، كانت الإدارة العسكرية الفرنسية تزيد في تضيق الخناق وتشديد الحصار على مختلف وجهات المجموعات الطرقية ليس بالتدخل المباشر في تسميتهم أو بتتبعهم في تنقلاتهم فحسب؛ بل أيضا

بتفقيهم وتهميشهم وذلك من خلال منع الزيارات التي تكون بهدف جمع الأموال والأعطيات، إلى جانب استصفاء قسما هاما من أملاكهم العامة والخاصة التي تشكل دعامة وجودها واستمرارها⁽⁸¹⁾.

فكما هو معلوم، فقد أقدمت السلطات العسكرية الفرنسية على تحجير الزيارات التي تقع في الغالب الأعم بهدف تدعيم ميزانية المؤسسة الطرقيّة مما أضّر صراحة بثروة رموز الطّرق باعتبار أنهم ينتفعون بنصيب وافر من الأنعام المجمعة (أموال، حبوب، زيوت، لحوم، منسوجات، أغطية...)

وكما عادتھا في خلق الذرائع، فقد علّلت الإدارة الفرنسيّة إجراءات منع الزيارات هذه ببعض الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي ألمّت بقطاعات واسعة من الأهالي في سائر جهات المنطقة العسكريّة خاصّة إبان النّواب البشرية (المجاعات، الأمراض، الأوبئة...) التي ميّزت تحديداً عشرينيّة 1937-1947. غير أنّ الهدف الحقيقي من وراء هذا المنع هو ضمان الاستخلاص المرضي للضرائب، ناهيك عن حرصها الكبير لاسترجاع ما تخلّد في ذمّة الأهالي من ديون (قروض، سلفات...) وكذلك حتّى لا ينافسها شيوخ الطّرق في ابتزاز السّواد الأعظم ذلك أنّ «السّكان لو خيروا بين دفع الضّرائب وإرسال الزّيارات والهدايا لمشايخ الطّرق لاختاروا الحل الثّاني»⁽⁸²⁾.

وفي السّياق نفسه، تخشى إدارة الاحتلال بالمنطقة العسكريّة من أن تتقدم الطّرق الصّوفيّة المنتشرة على ميادين نفوذها وسيطرته على توظيف ثراواتها ومكاسبها لدعم أنشطة الأحزاب السياسيّة التي تسرّب دعائتها تدريجيا إلى تلك الرّبوع المعزولة عن جسد الإيالة وخاصّة خلال أمداد نفيعهم بها) وجوه هامة من الدستوريون القدامى والجدد، بعض الطلبة الزيتونيين، بعض مناضلي الحزب الشيوعي... ممّا خلق نوع من الوعي الوطني الذي تميّز خاصّة في بعث نواتات وشعب دستوريّة محليّة ارتفع عددها منذ ثلاثينيات القرن العشرين⁽⁸³⁾.

وعلى أي حال، فقد أضرت سياسة تحجير الزّيارات التي يهدف الشّيوخ من ورائها كسب بعض الأموال بالمداخليل الجمليّة للزوايا وخاصة بتلك المؤسسات الطّريقيّة التي تفتقد إلى أحباس خاصّة أو عامّة؛ وهذا ما يجعل من تلك المبالغ الماليّة المجمعة مصدرا ضروريا لا غنى ولا بديل عنه لتسديد جملة من المصاريف والنفقات. ومن أبرز المتضررين من هذه السياسة الجائرة، نشير إلى شيخ الجماعة السّلاميّة بتطاوين الذي عادة ما يوظّف قسما هاما من الأموال المجمعة في أشغال ترميم الزاوية. لكن وبانقطاع عمليّة «ضخّ الأموال»، توقّفت أعمال الترميم سنوات عدّة أصبحت خلالها الزاوية على حالة من التصدّع والخراب ممّا جعل الشيخ الجليدي يستعطف الحامية الفرنسيّة في طلب مساعدة مالية عاجلة أمكن له بعد سلسلة من المراسلات المدحيّة تحصيلها ومقدارها 1000 فرنك⁽⁸⁴⁾.

لكنّ السبيل لم تنقطع بالمرّة عن شيوخ الطّرق الصّوفيّة بالتّراب العسكري التّونسي؛ فقد تحيّل البعض في جمع ما أمكن له من دراهم. أمّا البعض الآخر والمقصود بهم تحديدًا كلّ من شيخ القادريّة والسّلاميّة بتطاوين، فقد انتفع كلاهما بالمساعدات المائيّة المحترمة التي تفضّل بها عليهما القايد مسعود بالعربي⁽⁸⁵⁾.

تلك إذا همّ السياسات المعتمدة من طرف إدارة الاحتلال بالمنطقة العسكريّة التّونسيّة حيال الطّرق الصّوفيّة الموجودة بها. وهي (السياسات) على تنوّعها وتعدّدها تهدف إلى تحجيم الطّرق وتدجينها ومن ثمة سهولة إحكام السيطرة على رموزها قصد تطويعهم واحتوائهم لغاية الاستعانة بهم عند الحاجة دون أن يصدر منهم أيّ خطر محتمل من شأنه أن يهدّد مصالح الحماية الفرنسيّة.

فإلى أيّ مدى نجحت هذه السياسات؟ وهل ينسحب هذا الطّرح على مجمل الطّرق الصّوفيّة بالتّراب العسكري التّونسي أم أنّه بإمكاننا الحديث عن استثناءات خاصّة ونادرة.

2/ الطّرق المناهضة للاستعمار.

في تطاوين، لم تعد الزّاوية القادريّة بالجهة الفضاء الملائم لتدريس القرآن الكريم ولممارسة جملة من الأوراد والأذكار فحسب؛ بل إنّها أصبحت مقرّاً للاجتماعات والمشاورات بين أفراد شبكة الواجهات المحليّة بالجهة وذلك قبل امتشاق السّلاح في خريف 1916. ففي هذا الإطار عقد اجتماع أوّلي حضره أعيان أولاد دباب وأولاد شهيدة والكراشوة والجليدات والحميديّة واتفقوا بينهم على إعلانها «حامية حمراء» ضدّ الفرنسيين المغتصبين⁽⁸⁶⁾. أمّا الشّيخ عمر الأبيض، فقد حضر آخر الاجتماعات في سبتمبر 1915 والذي على إثره تقرّر تبني الكفاح المسلّح ضدّ الفرنسيين الغزاة⁽⁸⁷⁾. لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل حضر شيخ الزّاوية القادريّة بتطاوين اجتماعا واحدا من هذه الاجتماعات على الأقل؟ لا يمكننا إثبات ذلك في انعدام الأدلّة الكافية، لكن من المرجّح أنّ هذا الشّيخ قد سجّل حضوره في أحد هذه اللقاءات لمباركة العمل العسكري المرتقب.

ومن ناحية أخرى، هل من اليسير معرفة الانتماء الطّرفي لمختلف القبائل والعروش التي خاضت غمار المعارك والمواجهات المسلّحة أثناء أحداث 1915 - 1918 بالتّخوم الجنوبيّة للإيالة؟

في الحقيقة، لا نمتلك معطيات طريقيّة دقيقة عن أولئك المقاومين، لكنّ الأمر المؤكّد استنادا إلى بعض المصادر الأرشيفيّة هو أنّ المجموعات الطّرفيّة التّاليّة (الرّحمانيّة، السّلاميّة، والقادريّة) قد لقيت تجاوبا واسعا في أوساط أهالي تطاوين فقلّ أن تجد أحدا غير منتسب لإحدى هاتيه الطّرق أو غيرها. وبالمحصّلة، فإنّنا لا نستبعد مشاركة عدد من أتباع الطّرق الصّوفيّة المذكورة في سير المعارك⁽⁸⁸⁾.

كما تفيدنا الرواية الشفوية أيضا أنّ الحبيب الغندور مقدّم الزاوية التيجانية بعمل تطاوين قد ترعّم حركة المقاومة برمادة في 1958⁽⁸⁹⁾.

وقد مثّلت الزاوية القادرية بتطاوين أهمّ الهياكل التقليدية العتيقة التي احتضنت المقاومين في طفولتهم؛ فالشّاعر سعد بن عون مثلاً نشأ بالزاوية القادرية المار ذكرها آنفاً⁽⁹⁰⁾.

الخاتمة:

إنّ ما نريد الخلوّص إليه من وراء هذا المقال هو أنّ حركة التصوّف بعمل تطاوين لم تكن وليدة العهد الاستعماري بل إنّها كانت ضاربة في العراقة والقدم وتجلّدت، في فئة من الأولياء الصالحين ثمّ ومنذ بداية القرن التاسع عشر وخلال النصف الأول من القرن العشرين انتظمت في شكل مجموعة من الطرق امتازت بدقّة التنظيم وبكثرة عدد الزوايا والمريدين.

كما تميّزت ربوع تطاوين بتعدد الطوائف الطرقية وتنوعها ممّا خلق نوعاً من التنافس والصراع لكسب أكثر ما يمكن من الاتّباع وللمبروز كقوة فاعلة ومؤثرة في الحياة الطرقية، وهذا ما أفرز قطبين طرفيين محليين هما القادرية من ناحية والتيجانية من ناحية أخرى. أمّا الطوائف الأخرى فقد عجزت عن مجاراة نسق الصراع الطرقي لمحدودية نفوذها ومواردها.

وعلى صعيد آخر، فقد واجهت الحركات الصوفية بعمل تطاوين جملة من التحديات تمثّلت في:

- صرامة الإجراءات الاستعمارية المتخذة ضدها (مراقبة الشيوخ، منع الزيارات، مراقبة حلقات الذكر...).
- ظهور قوى سياسية جديدة سعت إلى الاتصال المباشر بعموم الأهالي لنشر الوعي بين صفوفهم ولتحسيسهم ب"الهم الوطني" مستفدين من حالة الأزمة التي غدت عليها الطوائف الطرقية (تشرذم الصف الطرقي، تفكير شيوخ الطرق، تقلص الأعطيات والصدقات بسبب صرامة الطوق العسكري المفروض على المنطقة).
- تنامي حدّة الصراعات بين مختلف الطرق الصوفية بعمل تطاوين وخاصة بين القادرية والتيجانية أمام أنظار الإدارة العسكرية التي اكتفت بمراقبة الصراع عن كثب، وفي ذلك تدعيم لمقولة دعوهم يتخاصمون لنظهر بمظهر المتدخل بالحسنى.

وبالمحصّلة، وأمام تلك التحديات عجزت الطوائف الطرقية عن تغيير سياستها والتطلع إلى ما هو أفضل وبالتالي فقد كانت كمن لقي حتفه بظلفه فاسحة المجال للتنظيمات السياسية الجديدة للمبروز كقوة فاعلة قادرة على تبني مطالب الأهالي ومن أهمّها رفع الحصار وإلغاء النظام العسكري.

هكذا فإن هذا العمل يهدف في بعد من أبعاده الكبرى إلى تسليط الضوء على جوانب طريقيّة هامة بعمالة تطاوين و مدى متانة ترابطها مع الزوايا الأصليّة الأم سواء بالجزائر أو بالمغرب أو كذلك بطرابلس الغرب .

الإحالات والهوامش :

- 1 - ليسير (فتحي)، من الصلعة الشريفة إلى البطولة الوطنيّة، ميدياكوم للطباعة والنشر، تونس، 1999، ص 192.
- 2 - ليسير (فتحي)، نجع ورغمة تحت الإدارة العسكريّة الفرنسيّة 1881 - 1939، ش.ت.ب، كلية العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة، تونس، 1992 - 1993، ص 43.
- 3 - A.N.T, SerD, Cart97, Dos 3/1, f203 : Notes sur la zaouïa soulamiya à Chenini Tataouine.
- 4 - A.N.T, SerD, Cart153, Dos 3, f12 : Notes défavorables sur le nommé Mohamed ben Taieb Jledi, 03/11/1926.
- 5 - A.N.T, SerD, Cart153, Dos 5, f6 : Révocation du Moukaddem Mohamed ben Taieb Jledi, 27/11/1927.
- 6 - A.N.T, SerD, Cart153, Dos 7, f8 : Nomination de nouveau cheikh à la zaouïa soulamiya à Rogba Tataouine, 10/07/1941.
- 7 - A.N.T, SerD, Cart153, Dos 7, f35 : Quelques renseignements sur le cheikh de soulamiya Mohamed Lakhayari, 08/10/ 1939.
- 8 - A.N.T, SerD, Cart153, Dos 7, f4 : L'attribution d'une somme d'argent, 10/09/1936.
- 9 - A.N.T, SerD, Cart153, Dos 7, f1 : Demande d'une appoint financière, 20/02/1937.
- 10 - ا.و.ت، سل D، ص 153، مل 7، وثيقة 82.
- 11 - A.N.T, SerD, Cart153, Dos 7, f21 : Avis défavorable sur le nommé El khatib, 08/05/1922.
- 12 - A.N.T, SerD, Cart97, Dos 3/1, f192 : Notes sur la Kadria à Nefzaoui, 03/09/1899.
- 13 - العجيلي (التليلي)، الطرق الصوفيّة والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسيّة، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 1992، ص 65.
- 14 - A.N.T, SerD, Cart97, Dos 3/3, f1 : La secte Issaouia à Tataouine.
- 15 - زايد (عبد الصمد)، عالم القصور بالجنوب الشرقي التونسي، ط 1، بيت الحكمة، قرطاج تونس، 1992، ص 186.
- 16 - المرجع نفسه والصفحة.
- 17 - المرزوقي (محمد)، صراع مع الحماية، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1973، ص 64.
- 18 - ا.و.ت، سل D، ص 97، مل 3، وثيقة غير مرقمة، د.ت.
- 19 - بن حسن (سمير)، نشاط الزوايا بصفاقس في الفترة المعاصرة، زاوية سيدي علي الكراي نموذجاً، ش.خ.د.ج، صفاقس 2005، ص 12.
- 20 - A.N.T, SerD, Cart97, Dos 3/1, f211. Confrérie Rahmania à Tataouine, 19/03/1896.
- 21 - Ibidem.
- 22 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos5/1, f1 : Notes sur la zaouïa Kadria à Rogba Tataouine.
- 23 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos3, f9 : Renseignements sur El Amir Ben El Hadj Taieb, 09/11/1908.
- 24 - Ibidem.
- 25 - Ibidem.
- 26 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos5/2, f1 : Bulletin n3.
- 27 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos3, f2 : Avis défavorable sur El Amir Ben El Hadj Taieb, 09/03/1906.
- 28 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos3, f9 .
- 29 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos5/1, f1.
- 30 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos3, f2.
- 31 - Ibidem.
- 32 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos5/3, f1 : A la demande d'une autorisation de blé, 10/10/1952.
- 33 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos5/1, f1.
- 34 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos3, f2.
- 35 شوقلي (جان)، التصوف و المتصوّفة، الدار البيضاء، 1999، ص 12.
- 36 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos3, f2.

37- Ibidem.

38- A.N.T, SerD, Cart111, Dos3, f1 : Le refus d'une demande appropriée à Echallakhi, 06/11/1906.

39 - A.N.T, SerD, Cart111, Dos3, f3 : Avis défavorable sur Mr Echallakhi, 28/08/1906.

- 40 - أ.و.ت، سل D، صن 111، مل 3/5، وثيقة 6 : بطاقة إرشادات، 1927./04/28
- 41 - يفسر الفارق في الموارد المالية للطرق الصوفية بعمل تطاوين بنوعية الاتباع فقراء / أغنياء، برؤوس الأموال المجمعّة وكذلك بحجم ونوعية موارد الزيارات.
- 42 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 5 : رسالة من القائد العسكري العام بالجزائر إلى المقيم العام بتونس يشرح له فيها أوضاع الطريقة التيجانية بعمل تطاوين عقب أحداث 1916، 1916./04/17
- 43 - المصدر نفسه.
- 44 - الإمام (هيفاء)، مقارنة بين مؤسسي الطرق الصوفية التالية : التيجانية، السنوسية والمهدية، *المجلة التاريخية المغاربية*، عدد 4، تونس، جويلية، 1975، ص 122.
- 45 - الشريطي (منصف)، *النشاط الثقافي والتربوي للطريقة القادرية بالإيالة التونسية 1776-1957*، ش.ك.ب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1985، ص 42.
- 46 - الإمام، نفس المرجع، ص 122.
- 47 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 5.
- 48 - المصدر نفسه.
- 49 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 10 : تقرير حول مقدم التيجانية بتطاوين سعد القاضي، 1924./07/24
- 50 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 3 : لائحة بأسماء أهم مقدمات التيجانية وعلاقتهم بالسلطة العسكرية بالجهة، 1916./03/26
- 51 - التيجاني (أحمد)، أحزاب وأوراد، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2003، ص 5.
- 52 - الشعراي (عبد الوهاب)، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ط 1، المكتبة العلمية، القاهرة، 1962، ص 199.
- 53 - المرجع نفسه، ص 34 - 35.
- 54 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 135 : زيارات رموز التيجانية بتطاوين لتونس والجزائر.
- 55 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 5.
- 56 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 3.
- 57 - أ.و.ت، سل D، صن 97، مل 1/3، وثيقة 2، رسالة من محمد بن الحاج الطيب مقدم الطريقة العروسية بورغمّة إلى الوزير الأكبر، 18 ربيع الثاني 1344هـ / 23 فيفري 1926م.
- 58 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 11 : تقرير عسكري عن بعض تجاوزات التيجانية بعمل تطاوين، 1924./08/24
- 59 - المصدر نفسه.
- 60 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 13 : رسالة من فقرا القادرية بتطاوين إلى شيخ مشايخ القادرية بتونس، 30 محرم 1342هـ / 12 سبتمبر 1923م.
- 61 - المصدر نفسه.
- 62 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 9 : بعض تجاوزات التيجانية بتطاوين، 1927/11/19.
- 63 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 4 : أهم صراعات التيجانية بتطاوين، 1916./04/08
- 64 - أ.و.ت، سل D، صن 156، مل 31، وثيقة 5.
- 65 - أ.و.ت، سل D، صن 111، مل 1/5، وثيقة 5 : تقرير الضابط مورو Moreau رئيس مصلحة الشؤون الأهلية بتطاوين، 1924./08/07
- 66 - العجيلي، نفس المرجع، ص 86.
- 67 - المرجع نفسه، ص 85 - 86.

- 68 - المرجع نفسه، ص 86.
- 69 - المرجع نفسه والصفحة.
- 70 - أ.و.ت، سل D، صن 139، مل 5، وثيقة 5.
- 71 - أ.و.ت، سل D، صن 111، مل 3/5، وثيقة 6.
- 72 - العجيلي، نفس المرجع، ص 88.
- 73 - المرجع نفسه، ص 89.
- 74 - أ.و.ت، سل D، صن 97، مل 1، وثيقة 4: منشور وزير مؤرخ في 13 جوان 1924 وكذلك أ.و.ت، سل D، صن 182، مل 3، وثيقة 5: منشور وزير مؤرخ في 13 نوفمبر 1934.
- 75 - العجيلي، نفس المرجع، ص 90.
- 76 - أ.و.ت، سل D، صن 97، مل 3، وثيقة 25.
- 77 - أ.و.ت، سل D، صن 111، مل 3/5، وثيقة 1.
- 78 - أ.و.ت، سل D، صن 111، مل 6، وثيقة 10: رحلة شيخ القادرية إلى تونس والكاف، 1908/11/14.
- 79 - A.N.T, SerD, Cart97, Dos 3/1, f192.
- 80 - أ.و.ت، سل D، صن 97، مل 1/3، وثيقة 382.
- 81 العجيلي، نفس المرجع، ص 99.
- 82 Ouled Mohamed(H), « Notes à propos des enquêtes coloniales sur la religion populaire en Tunisie de 1896-à 1934 », *Cahier de la Méditerranée publié par le centre de la Méditerranée moderne et contemporain*, n20- 21, Juin- Decembre 1980, pp81- 90, 92.
- 83 - ليسير، من الصلابة... نفس المرجع، ص 81 - 82.
- 84 - أ.و.ت، سل D، صن 153، مل 7، وثيقة 42.
- 85 A.N.T, SerD, Carton111, Dos3, f2. Et A.N.T, SerD, Cart111, Dos5/1, fl.
- 86 - المرزوقي (محمد)، *دعاء على العبدود*، الدار العربية للكتاب تونس، 1975، ص 146.
- 87 - المصدر نفسه، ص 254.
- 88 أ.و.ت، سل D، صن 97، مل 2/3، وثيقة 192. أ.و.ت، سل D، صن 97، مل 3، وثيقة غير مرقمة، د.ت. أ.و.ت، سل D، صن 111، مل 3/5، وثيقة 1.
- 89 - مقابلة مع المقدم الحالي للطريقة التيجانية بالموانسة جرجيس السيد البشير بن سالم بن مشارك: 18 سبتمبر 2006.
- 90 - المرزوقي، *دعاء... نفس المصدر*، ص 289.